لا تغازل الاشجار ... حتى أعود

عز الدين المناصرة

ـ 1 ـ

على سنديانة المنفى
قفز العصفور .. ابن الطائر
وقاطعني بالبكاء على أحبابه الراحلين .
ما ذنبي يا « جفرا » !
اذا كان الفصل صيفا
وأمطرت الدنيا في حديقة المدينة
ما ذنبي !
اذا خرج العصفور ابن الطائر
في هذا الفجر الحنون
وقاطعني بالغناء عن أحبابه الراحلين .
لماذا يذكرني الطائر بن الطائر
بأحبابه الراحلين .
أي رحيل لم يكن فيه احبابي ؟ !!

ـ 2 ـ

ذهبت هذا الصباح الى مقبرة الشهداء
الأرزة عالية
الجبل اخضر
البحر بدا في الشهيق والزفير
والشارع المترامي على مد النظر
يسكنه الغول المدني .
ذهبت في هذا الفجر
الى مقبرة الشهداء
الواقعة شرقي « قصور » شانتيلا / المليئة بالكبرياء الوطني .
واتعظت قليلا
بالذين فعلوا التجربة من قبلي .

ـ 3 ـ

سـوف أقـول لـك شيئـا
وسـوف تتـذكرينـه بالخيـر أو بالشـر
لا يهمنـي يـا « جفـرا » الجميلـة
اذا كان قلبك من أصداف « صيدا » .. و « صور »
أو من زجاج « الخليل »
سـوف تقولين يـومـا يـا جفـرا :
لك المجد أيها « الملك الضليل » .

ـ 4 ـ

قدمي اليسرى .. أصابتها شظية من الحـرب
يدي اليسرى .. تزحلقت على ثلج كالصابون
عيني اليسرى .. أزعجها أحد لصوص القبيلة
ومـا زلت أشكـو يـا جفـرا
من قدمي اليسرى ، يدي اليسرى ، عيني اليسرى ،
من الحرب من الجليد من لصوص القبيلة .
في تلك الليلة ، أذكر أنني صرخت كاي ديك احـمر
وهم يلقون هراواتهم الثقيلة على عرفي النحيل
كان الدم يعفر بنطلوني .. يا جفرا .
وفي ذلـك النهـار
كنت أركض بين البستان .. وكنيسة « مار مخايل »
عندمـا هبطت القذيفـة كالمـلاك
لكـن التـراب .. حمانا .. يا جفـرا ،
أما الثلج الذي كالصـابـون
فتلك عو امل التعرية .. يا جفرا الجميله .

ـ 5 ـ

أستنـد الـى حائط الشارع .. ك « ...،،، ـه »
مدعيا أنني انتظـر التـرام
وأنا أنتظر ف،، ل،، س،، ط،. ي .. ن
تـمـــر
لا تـمـــر
تـمـــر
لا تـمـــر
تـمـــر
لا تـمـــر
والله العظيم الذي تؤمنين به يا جفـرا

لا أعـرف : متـى ؟
ولا أنت يـا جفـرا
ولا هـم يعـرفـون ذلـك .

ـ 6 ـ

مسكين ـ .. أنت يا « عبـاس » .
مسكين أنت يا ابن أمي وأبـي
مسكيـن .
خبأت عمامة الشيـوخ في تـلافيفك
واعتقـدت أن ذلك الشيء
سيقيك برد الشتاء وصهيل القيظ
مسكين أنت يـا عبـاس
كنت تظن أن النار لا تحرق العمائم
بل ستكون عليك بردا وسلاما بإذنه .
لانـك لا تسـرق
لانـك لا تـزنـي
لانـك لا تشـرب الخمـر .
ها أنت تجرب بنفسك يا ابن أمي وابي
ها هم يجلدونك بالسياط المقدسة
ويجرونك الى الثكنـة
وهـم مثلك يـا عبـاس
يحملون تلافيف الشيـوخ
في أدمغتهـم الوطنيـة
مسكين يـا ابـن أمي وأبـي
لقد تعفر بنطلوني بالدم مثلـك
مسكيـن أنت يـا عبـاس .

ـ 7 ـ

وقف حاجز اللغة .. قبل سنـوات
بينهم وبين الحقل والبندقية والمصنـع
وهـا هـم يعودون الآن ..
فاغفروا لهـم هـذه المـرة
اغفـروا لهـم
ما تقـدم مـن ذنبهـم .

ـ 8 ـ

أطيلـي ضفـائـرك
هكذا كان وجهـه الاجـاصي .

لكنها كانت ثقيلة على المحطة
فعرفت أنها لم تكن « غيره »
انه الفراق .. يا « جفرا »
لأن شعرك أسمر
وشعره كالحجر الأسعد
واحسرتاه
كم أنا حسن النية .

ـ 11 ـ

أمي يا أمي يا امي
يا سدرة الوطن السمراء
بعد أربعة عشر عاما
هل حلت مشكلة « البئر » ؟ .
بين والدي ـ الذي على حق
وبين رجال القبيلة ـ المدججين في الليل
واحسرتاه يا نفيسة
بيني وبينكم جدار
عمره أربعة عشر عاما
هل ما زلت سمراء وطويلة ؟

ـ 12 ـ

يمر المخبر كالكلب
حتى هنا في المنفى
أنتقم منه ـ يا جفرا ـ بقلبي
يمر هنا في المنفى
وفي مطاعم الغربة
هل تصدقين ـ يا جفرا
انني أشفق عليه
لأنه غريب مثلي
لكنه لا يحرك غربته .

ـ 13 ـ

أربعة منافي وأنت الآن منفي
والعرب العاربه
يتابعون آثاري ـ والحق يقال ـ بموضوعية .
وينثرون الأموال ـ الحق يقال ـ بسخاء
والنفي قلبه من حجر يا نفيسه
قولي لأبناء العمومة يا أماه

هـل حلت مشكلـة البئـر ؟ .
أربعة مناف .. وأنت الآن سجـن :
هرم ورمل وأرزة وصوفيـا
والخليل الآن سجـن
أربعة مناف وأنت الآن ثورة .
واحسرتا قلبي يا « أم علي النصراويه »
لماذا تضحكين في أعراس الشهداء ؟ !

- 14 -

بعد سماع نشرة الاخبار العربية
يكون لـي نصيب من المـوت
كأى مـواطـن صالـح .
سأظل أبكـي عنـد نهـر الليطانـي
كـي أحبـك اكثـر .
فقد كنت أحـب أمـي كثيـرا
اذهبـي الـى البحـر
وتـداخلـي معـه
امسحي جسدك بالرمل والشعـاع
وتمـددى
ضعي قدميك في رأس الخليـج
ورأسك في وهـج الـرمـل
فقد كانت أمي سمراء وطويلـة
تركض كشجرة « الميسن »
في « مرج بن عامـر » .
واحسـرتـاه .

- 9 -

لا تغازل الأشجـار
حتـى أعـود .
لا بأس اذا غازلت الشجرة التي تجلس قربك .
لا بأس أن تعصر « الخليل » قطرة قطره
وتشرب كأسك حتى النـزف
في آخر هذا الوطن الموحش .
واحـذر مـن الجـرسـون
فان بسمته كالجبنة الكشكوان .
أنت الآن في زنـزانتـك
وأنـا أتجـول في منفـى جـديـد

هل تذكر يا « ع. ل »
عندما كنا نغني على شط العرب
وكان « جاك بيرك » يرقبنا بفرح .
هل تذكر يا « عين لام »
حين هززنا أرجاء بيروت
كانت قصيدتك ضد السيدة
وكانت قصيدتي ضد السيد .
كان ذلك قبل ثماني سنوات .
حين طالبوا برجمنا وفقا لتشريعتهم .
بعد المطر .. تأتي العصافير .« يا رفيق
مبللة الريش
وليس لك سوى ارتعاشاتها
واحسرتاه يا « عين لام »
لك زبد البحر
ولهم البحر
« حقا انه زمن أسود »
يا برتولدبرشت .

ـ 10 ـ

أصفر ، أصفر ، أصفر
كالغيرة ،
ـ واسألوا القاموس اذا لم تصدقوني ـ
الذى ينبع ـ الآن ـ ويصب
في هذا المقهى الرمادي
في مدينة « صوفيا » .

ـ 15 ـ

ـ لماذا بدأ قلبي بالرفيف ـ أيتها الجرسونة ؟
ـ لانني أشبه « عائشه » التي في « أريحا » ـ ايها الفتى
ظللت والله العظيم الذى تؤمنين به يا عائشة
ـ رغم الفواصل غير الموسيقية ـ
ظللت أذكرك طيلة السنين
ما زلت أذكرك بالخير
والله العظيم الذي تؤمنين به
يا عائشة .. التي تقيم الآن في « أريحا » .

ـ 16 ـ

مملكـة الحجر ، يا مملكة الحجـر
انني احبك يا مملكـة الحجـر .
جرار الذهب في مغاور البـريـة
والكنعانيون يقيمون حضـاره
وانـت تضحكيـن
وهـم في السجـون
وهي كانت طالبة في الجامعة
مملكـة الحجر يا مملكـة الحجـر
انهم يترجمونك الآن الى اللغة العبرية
كي يصبح للعبرانييـن تـراث

ـ 17 ـ

أريد أن انقل مدينة الحدائق الى مدينة الحرائق
ومدينة الحرائق الى مدينة الحدائق .
او
أحمل الجبل والبحر والأرز والمدينـة
وأطيـر .
أطيـر
حتى تصبح الديمة السكوب
خاضعة لارادتنا الوطنيـة .
غدا سوف يقيمون حرزا من الصلوات
بيني وبين الحمام العسكـري
هنـاك
سقـا اللـه
كانت تلهو « عروس البحر »
وتحتفل بعيد ميلادهـا الخمسيـن .
لا تغازلي الأشجار .. حتى أعـود
فانا ضالع في مؤامرة الحنين الأبـدي
يا بيروت الطعنة والميلاد .

بلغاريا ـ صوفيـا
اغسطس 1978